﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠﴾ [آل عمران: 150]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العلاقة بين التّحذير من أهل الكفر، والدّعوة إلى موالاة الله خير النّاصرين

لمّا حذَّر الله تعالى المؤمنين من طاعة أهل الكفر وموالاتهم، بيَّن أنّ هؤلاء ليسوا أهلًا لولاية المؤمنين، وأنّه تعالى هو مولى المؤمنين وناصرهم الّذي لا ينصرُ أحدٌ أولياءَه كنصره، كائنًا من كان، "فاطمئنّ على أنّك خالص ومخلص لله، وإلّا ما جاءك نصره، فساعة يأتيك نصر الله، فاطمئن على نفسك الإيمانيّة وأنّك مع الله"(1)، لأنّه خير النّاصرين.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾: أي: ناصركم، وأصل وَلِيَ يدلّ على القُرب، ومنه قولهم: تباعدَ بعدَ وَلي، أي: بعد قُرب، وقد يكون القربُ في المكان، أو في النِّسبة أو في الدِّين، أو في الصّداقة والنُّصرة، ولذا يُقال للمُعتِق، والمُعتَق، والصّاحب، والحليف، والنّاصر، وابنِ العمِّ والجارِ: المَوْلى. والتّوالي: " أن يَحْصُلَ شيئان فصاعدا حصولا ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب"(2).

2) ﴿خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾: أي أقواهم بالنّصرة. فلا ينبغي أن تطيعوا الكفّار لينصروكم لأنّهم عاجزون(3)، والمعنى: فاعتصموا به ولا تستنصروا بغيره، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدّين عن دينكم"(4)، أو أنّه تعالى" خير من ينصر من نصره؛ فلا يغلب، كقوله: ﴿إِن

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 3/1813.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ولي)، والرّاغب، المفردات: (ولى).
(3) الجاويّ، مراح لبيد: 1/159.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 6/126.

يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ [آل عمران: 160][1]، "لأنّه خبير بمواقع الحاجات، قدير على إنجاز الطّلبات، ينصر في الدّنيا والآخرة، بلا شائبة علّة من العلّات، ونصرة غيره لو فرض، فإنّه مخصوصٌ بالدّنيا وببعض الأمور، وفي بعض الأوقات، ولغرض من الأغراض الفاسدات، كيف ولا ناصر بالحقيقة سواه"[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَاليُّ:

لا مـــولى للمؤمنين غير الله، ولا ناصر لهم سواه

ليسَ الكفّار أولياءَ لكم - أيّها المؤمنون - فينصرونكم إذا أطعتموهم، إنّما وليُّكم، وناصركم هو اللّه الّذي لا تحتاجون إلى أحد بعده، فيقول لهم: " أطيعوا اللّه ربّكم ووليّكم ومولاكم، فإنّه خير من يطاع، وأحقّ من يطاع، واطلبوا النّصر بطاعته، فهو خير النّاصرين"[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ ﴿بَلِ﴾ بينَ الإضرابِ الانتقاليِّ والإبطاليِّ:

اللـــهُ مـولى المؤمنينَ لا غيرُهُ

تحتملُ ﴿بَلِ﴾ أنْ تكونَ للإضرابِ الانتقاليِّ[4]، على معنى الانتقالِ مِنَ المهمِّ إلى الدُّخولِ إلى الأهمِّ بطريقِ الاستدلالِ، بدلالةِ قرينةِ الحالِ؛ لِأنَّهُ - سبحانَه - بعدَ أنْ حذَّرَ المؤمنينَ مِنْ إطاعةِ الكافرينَ وما يترتَّبُ عليها منَ الانقلابِ إلى الكفرِ والذِّلَّةِ، انتقلَ إلى توجيههِمْ إلى ما فيه عزَّتُهم ونصرُهم، والمعنى: إنّي أنهاكم - أيُّها المؤمنونَ - عن إطاعةِ الكافرينَ؛ لِأنَّهم ليسوا أولياءَ لكم فتطيعوهم، بلِ اللّهُ - تعالى - هو وليُّكم ومعينُكم وهو خيرُ النَّاصرينَ، فجاءَ الإضرابُ الانتقاليُّ لِتثبيتِ المؤمنينَ ولِبيانِ أنَّه إذا كانَ اللّه مولاهم وناصِرَهم ومعينهم فلنْ يُطيعوا الَّذينَ كفروا.

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السُّنّة: 2/505.
(2) النيسابوري، غرائب القرآن: 2/275.
(3) الكواريّ: تفسير غريب القرآن: 3/150.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/522، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/14-46، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 2/292.

كما تحتملُ ﴿بَلِ﴾ أنْ تكونَ للإضرابِ الإبطاليِّ، وهو ظاهرُ كلامِ البيضاويِّ وغيرِهِ، والمعنى إبطالُ مضمونِ المعنى الذي قبلَها وإثباتُ ما بعدَها، كأنَّه قيل فلا تطيعوهم، إنّهم ليسوا أهلًا لوَلايتكم، بل اللّٰهُ مولاكم، فأطيعوه واستغنوا بهِ عنْ موالاتِهم؛ لِيفيدَ الإضرابُ الإبطاليُّ التَّحذيرَ مِنْ فعلِ ما قبلَ ﴿بَلِ﴾، والمبادرةَ إلى فعلِ ما بعدَها[1].

مناسبةُ القصرِ في قوله ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾:

جاءَ القصرُ في الآيةِ بأسلوبين، أحدِهما في مجيءِ المسندِ والمسندِ إليه معرفتين؛ لِبلوغِ المسندِ إليه في استحقاقِ ما أُسندَ إليه حدًّا يقتضي حصرَ المسنَدِ فيه[2]، والقصدُ هنا هو إثباتُ الولايةِ للّٰهِ تعالى أوَّلًا وبالذَّاتِ ثمّ نفيُ الولايةِ عنْ غيرِهِ ثانيًا وبالتَّبعِ، كما أنَّ الإضرابَ بـ ﴿بَلِ﴾ يُشعِرُ بمعنى قَصرِ الولايةِ على اللّٰهِ تعالى، والمعنى: اللّٰهُ مولاكم لا غيرُه؛ لِيفيدَ ولايتَهُ سبحانَه وتعالى نصًّا، ونفيَ ولايةِ غيرِهِ ضمنًا، فدلَّ القَصْرُ على تأكيدِ مضمونِ الجملةِ وتقريرِهِ على سبيلِ انحصارِ الصِّفةِ ﴿مَوْلَىٰكُمْ﴾ في الموصوفِ ﴿ٱللَّهُ﴾، وثباتِ ولايةِ اللّٰهِ للمؤمنينَ ودوامِها، وليدفعَ ما قدْ يُتَوهَّم مِنْ أنَّ غيرَ اللّٰه قدْ يكونُ مولى المؤمنينَ.

نكتة التعبير بقوله ﴿مَوْلَىٰكُمْ﴾:

عبَّر بقوله ﴿مَوْلَىٰكُمْ﴾ لِما تفيدُه الكلمةُ من معنى التَّقرُّبِ والتَّودُّدِ والنُّصرةِ والإعانةِ، وفيه تذكيرٌ للمُخاطَبينَ أصالةً - وهمْ أصحابُ النّبيّ ﷺ - بعِظَمِ شأنِ الولاءِ عندَهم، فإنَّ له عند العرب شأنًا عظيمًا كشأنِ النَّسَبِ[3].

نكتةُ التَّعبيرِ بالاسمِ الجليلِ ﴿ٱللَّهُ﴾:

عَبَّرَ بالاسمِ الجليلِ المقتضي لصفاتِ العِزِّ والمنَعةِ تعظيمًا لأمرِ ولايةِ اللّٰهِ تعالى لِلمؤمنينَ في أنفسِهم[4].

(1) البيضاوي، تفسير البيضاوي: 2/42، والنيسابوري، غرائب القرآن: 2/275، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 5/91، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/122.

(2) السبكي، عروس الأفراح: 1/406.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/122.

(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/91، والسّيوطيّ، شرح عقود الجُمان، ص: 28.

دلالةُ العطفِ في قوله ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾:

لمّا كانتِ الواوُ عاطفةً أفادتْ وقوعَ الجملتينِ المعطوفتين في حكم الإضراب على الاحتمالينِ المذكورينِ، فيكونُ الإضرابُ متعلِّقًا بقوله ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ كذلكَ؛ لإفادةِ تأكيدِ النَّهيِ عنْ طاعةِ الكافرينَ والامتثالِ لِكفرِهم، وحسَّنَ الوصلَ بينَ الجملتينِ هنا لِما بينهما منْ مناسبةِ الاتصالِ، فكلاهما جملةٌ اسميَّةٌ وعلى معنى النُّصرةِ والإعانةِ[1].

دلالةُ اسمِ التّفضيلِ بينَ الحقيقةِ والمجازِ في قوله ﴿خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾:

لا نصرَ كنصرِ اللهِ مقصدًا، وموقعًا، وفائِدةً

يحتملُ اسمُ التَّفضيلِ ﴿خَيۡرُ﴾ أنْ يكونَ على حقيقةِ المفاضلةِ، أي إنَّ اللّه تعالى هو خيرُ الموصوفين بهذا الوصفِ؛ ذلكَ أنّ نصرَ اللّهِ تعالى يتجاوزُ دفعَ الغلَبِ عنِ المغلوبِ إلى قطعِ الغالبِ، كما أنَّ نصرَهُ تعالى يتعدَّى دفعَ الظّلمِ عنِ المظلومِ إلى قطعِ ظُلمِ الظّالمِ، فاللّه خيرُ النّاصرين قصدًا، وموقعًا، وفائدةً[2]، كما يحتملُ أنْ يكونَ اسمُ التّفضيل ﴿خَيۡرُ﴾ على المجازِ، لأنّه سبحانَهُ ليس معدودًا في جنسِ النّاصِرين، فلا تقعُ المفاضلةُ بينه وبينَ المخلوقينَ أصلًا، لكنّه خاطبهم بحسبِ عرفِهم، كقوله: ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الرّوم: 27].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/376، والآلوسّي، روح المعاني: 2/300.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/122.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»